

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حُكَّامُنَا عُمَّلُهُ فِي الزَّيْفِ وَاحِدَةٌ

- مَاذَا نَقُولُ وَقَوْلُ الْحَقِّ يُؤْذِينَا *** إِنْ نَحْنُ حِينًا يَاوَلِي الْأَمْرِ شَاكِينَا؟!
فَكَيْفَ نَشْكُو بِمَنْ لِلْخَيْرِ لَمْ يُخْلَفُوا *** وَكَيْفَ نَرْجُو رِعَاةَ الشَّرِّ تَحْمِينَا؟!
فَمَا السَّبِيلُ إِلَى النَّجَاةِ مِنْ مَكْرِهِمْ *** وَالْحُكْمُ مِنْهُمْ بِأَيْدِي مَنْ يُقَاضِينَا؟!
أَغْنَامُنَا بِرِعَاةِ الْإِنْسِ مَحْمِيَّةٌ *** مِنْ الدَّنَابِ وَذَنْبِ الْإِنْسِ رَاعِينَا؟!
تِلْكَ الرَّعَايَةُ جَاءَتْ بِتَعَاسَتِنَا *** بِهَا أَضَعْنَا حَيَاةَ النَّفْسِ وَالْدِينَا؟!
حُكَّامُنَا هُمْ عَلَى الْعِنَادِ قَدْ جَبَلُوا *** لَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سَلِيمُ الْعَقْلِ يَهْدِينَا؟!
قَدْ حَكَّمُونَا بِفَهْمِ مُسْتَعَارٍ لَهُمْ *** أَنْابَهُمْ فِيهِ عَنْهُ مَنْ يُعَادِينَا؟!
فَحَوَى الْعِنَادِ بَدَا بِالْفِعْلِ سُلْطَانُهُ *** يَسْطُو عَلَيْنَا وَيَعْتُو فِي أَرْضِينَا!
الظُّلْمُ قَدْ بَاضَ فِي حِضْنِ مَجَالِسِهِمْ *** بِهَا الْبَلَايَا رَبَّتْ وَفَرَّخَتْ فِيْنَا!
تِلْكَ الْفِرَاحُ فِرَاحُ الْبُومِ فِي شَأْمِهَا *** تَبْكِي نُوَاحًا مَعَ الْغُرَبَانِ تَعِينَا!
عَمَّ الْفَسَادُ وَدَبَّتْ طَبَائِعُهُ *** كَمَا تَدْبُ الدِّمَاءُ فِي الشَّرَايِينَا!
الْغِلُّ قَدْ دَكَ فِي الْقُلُوبِ أَوْتَادَهُ *** وَمَدَّ أَطْنَابَهُ وَسَطَ مَغَانِينَا!
رُوحُ النَّشْقِيِّ وَالْإِنْتِقَامِ مِنْ بَعْضِنَا *** شَاعَتْ وَدَاعَتْ وَزَادَتْ فِي مَخَازِينَا!
الْجَهْلُ بِالنَّفْسِ وَالدِّينِ أَطَاحَ بِنَا *** إِلَى جَضِيضِ الْفُحُوشِ وَالْمَلَاعِينَا!
إِنَّ الْعُقُوقَ مِنَ الْأَبْنَاءِ غَرَّ بِهِمْ *** فَأَنْحَرَفُوا عَنْ طَرِيقِ الْبِرِّ عَاصِينَا!
إِنَّ النُّشُورَ تَقَشَّى فِي حَلَالِنَا *** بِهِ عَصَيْنَ قَرِينَهُنَّ وَالْدِينَا!
نَبَا لِقَوْمٍ رَضُوا بِبَيْعِ أَعْرَاضِهِمْ *** هُمْ فِي الْهَوَانِ غَدَاؤُا بِالْإِثْمِ شَاقِينَا!

الْيَأْسُ أَرْحَى عَلَيْنَا جُنْحَ ظَلَمَتِهِ *** نُورُ الرَّجَاءِ جَفَانًا لَا يُدَانِينَا !
إِنَّ الْبِطَالََةَ فِي الشُّبَّانِ قَدْ أَنْتَجَبَتْ *** فَقْرًا وَقَنْطًا فَلَيْتَ الصَّبْرَ يُجَدِينَا !
أَضْحَى الْغَنِيُّ فَقِيرَ النَّاسِ فِي حِينِنَا *** أَمَّا الْفَقِيرُ فَدَوْمًا رَاحَ مِسْكِينًا !
كُلُّ النَّجَارِيْبِ مِنْ سَاسَتِنَا نَجَحَتْ *** فِينَا وَنَحْنُ عَلَى الدَّوَامِ رَاضُونَ !
فِعْلُ النَّجَارِيْبِ بِالتَّقْلِيدِ مُرْتَبِطٌ *** كِلَاهُمَا فِي قِيَاسِ الْعَقْلِ بَيْرِينَا !
مَا لِلتَّقَالِيدِ فِي الْفُرُودِ نُضْحِكُنَا *** وَمَالَهَا فِي مَوَالِي الْعَرَبِ تُبْكِينَا !
مَا لِلْعُرُوشِ تَمَهَّدَتْ لِأُورَاكِ مَنْ *** عَاشُوا عَلَيْهَا طَوَالَ الْعُمُرِ رَاسِينَا !
مَا لِلْمَصَاحِفِ أَقْسَمُوا بِهَا خُدْعَةً *** لِكَيْ يَسُودُوا وَيَعْدُوا مُطْمَئِنِّينَا !
مَا لِلْعَزِيزِ دَلِيلٌ رَغَمَ عِزَّتِهِ *** مَا لِلدَّلِيلِ عَزِيزٌ رَاحَ يُزْرِينَا !
مَا لِلجَوَاسِيْسِ ظَلُّوا فِي مَسَاجِدِنَا *** فَلَمْ يُصَلُّوا وَرَاقَبُوا الْمُصَلِّينَا !
مَا لِلْمَنَّاكِرِ تَحْمِيهَا قَوَانِينُهُمْ *** وَالبَعْضُ مِنْهَا لَهُمْ ظَلٌّ قَرَابِينَا !
كُلُّ وَزِيرٍ تَقَدَّسَ فِي وَزَارَتِهِ *** أَمَّا الْمُدِيرُ فَحُرٌّ أَمْرُهُ فِينَا !
وَالكُلُّ يَحْمِيهِ قَانُونُ سِيَاسَتِهِمْ *** يَا وَيْحَ نَاقِدِهِمْ أَبَدَى لَهُمْ شِينَا !
خَانُوا الْأَمَانَةَ بَعْدَ حَمَلِهَا رَغْبَةً *** مِنْهُمْ فَلَيْسُوا مِنَ الْجَحِيمِ نَاجِيِنَا !
خَانُوا الضَّمِيرَ نِفَاقًا فِي رِعَايَتِنَا *** وَالقَصْدُ مِنْهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ يُتْنِينَا !
لَكِنَّ لَطْفَ اللطِيفِ فِي حِرَاسَتِنَا *** يَكُلُّ مَا يَقْتَضِي الْإِيمَانَ يَحْمِينَا !
قَالُوا اسْتَقْلُوا وَمَا فِي الْقَوْلِ مِنْ عَجَبٍ *** بَلِ اسْتَقْلُوا عَنِ الْإِسْلَامِ قَاصِينَا !
بَلْ هُمْ عَبِيدٌ كَمَا نَحْنُ عَبِيدٌ لَهُمْ *** وَالكُلُّ قِنَّ لِمَنْ بِالْبَخْسِ يَشْرِينَا !
تَبَّأَ لِقَوْمٍ شَرَّوْا بِالْجُبْنِ أَمَّا لَهُمْ *** هَلْ مِنْ شُجَاعٍ لِدَاءِ الْخَوْفِ يَشْفِينَا !

مَعَالِمِ الْفُؤْسِ فِي مِحْنَتِهَا نَكَبَةٌ *** وَصَمْتُ حُكَّامِنَا عَنْ ذَاكَ يُخْزِينَا !
 تِلْكَ الْمَعَالِمِ قَدْ رَوَتْ لَنَا مَا يَهَا *** مَأْسَاءَ تَهْوِيدِهَا فِيهَا نُحَاكِينَا !
 صَبْرٌ جَمِيلٌ لِأَهْلِ الْفُؤْسِ سُلُؤَانَهُمْ *** مَا دَامَ حُكَّامُنَا بِالْخِزْيِ رَاضِينَ !
 يَا وَيْحَهُمْ مِنْ عَدَاءِ الْجَارِ مِنْ حِنْسِهِمْ *** ظَلَّ عَلَيْهِمْ مَعَ الْيَهُودِ سَكِينًا !
 أَخْزَى الْعَدَاءِ بِجَارِ السُّوءِ شَادَ لَهُمْ *** حِدَارٌ رَفَحَ عَلَيْهِمْ جَرٌّ تَوْهِيئًا !
 ذَاكَ الْحِدَارُ بِهِ انْقِطَاعٌ وَصَلَاتِنَا *** أَوْصَلَهَا دِينُنَا مَا بَيْنَنَا حِينًا !
 وَرَعْمَ هَذَا فَإِنَّ الْعَزْمَ لَمْ يَنْقُطِعْ *** قَوْلًا وَفِعْلًا وَلَا نَ الصَّعْبَ تَلِينًا !
 هَذَا يَعْكُسُ احْتِفَالِ الْعَرَبِ فِي هَدْمِهِمْ *** طَوْعَ إِرَادَتِهِمْ حِدَارَ بَرْلِينَا !
 الْكُفْرُ مِلَّةٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةٌ *** دِينُ النَّصَارَى مَعَ الْيَهُودِ لَا دِينًا !
 جُنُودُنَا قَدْ تَخَلَّوْا عَنْ عَقِيدَتِهِمْ *** لِذَاكَ بَعْنَا لِمَنْ بِالْهُونِ يَشْرِينَا !
 إِنَّ الْعَدَالََةَ فِي الْقَضَاءِ قَدْ أَقْبَرَتْ *** صَلَّى عَلَيْهَا رُبَاعًا مَنْ يُقَاضِينَا !
 مَالِي أَرَاكُمْ أَيَا فُضَاةَ أُمَّتِنَا *** بِالْعَدْلِ سُدْتُمْ وَأَنْتُمْ عَنْهُ لَا هُونَنَا !
 وَيَحَ رُعَاةٍ تَمَخَّضَ الزَّمَانُ بِهِمْ *** صَالُوا وَجَالُوا وَبَايَعُوا الشَّيَاطِينَا !
 حُبُّ الرِّئَاسَةِ أَعْمَاهُمْ وَأَزْلَقَهُمْ *** فِي رَيْنِ شَهَوَاتِهِمْ وَاللَّهُ يُنْحِينَا !
 شَعْلُ الْإِدَارَاتِ قَوْضَى لَا نَظِيرَ لَهَا *** أَخْطَاؤُهَا قَدْ بَدَتْ فِينَا قَوَانِينَا !
 إِنْ نَحْنُ رُمْنَا لِقَاءَ مَنْ يَلِي شَعْلَنَا *** رُمْنَا مُحَالًا وَفِي الْمُحَالِ بَاقِينَا !
 كُلُّ الْكَوَارِثِ مَا حَلَّتْ وَظَلَّتْ بِنَا *** إِلَّا وَهُمْ أَصْلَهَا بِالطَّبَعِ نُشْقِينَا !
 الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ يُلْزِمَانُ تَجْرِيدَهُمْ *** مِنْ كُلِّ شَرْعِيَّةٍ فِي الْحُكْمِ تَعْنِينَا !
 فَالْعَقْلُ يَأْمُرُهُمُ وَالشَّرْعُ يُجْبِرُهُمْ *** يَرَدُّ مَا اعْتَصَبُوا قُورًا مُدَانِينَا !

الْعَقْلُ وَصَفٌ لِمَنْ يَنْصِفُنَّ بِهِ *** وَالشَّرْعُ حُكْمٌ بِأَيْدِي مَنْ يُرَاعِينَا !
 هَلْ لِلرُّعَاةِ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا؟! *** هَلْ لِلرَّعَايَا مَقَالٌ غَيْرُ أَمِينَا؟!
 الْفَالُ طَارَ بِهِ الْحَمَامُ مِنْ دَارِنَا *** فَحَطَّ حَيْثُ هَدِيرُ الشَّقِّ يُسَلِينَا !
 الظُّمُّ فِي النَّاسِ أَضْحَى مِنْ عَوَائِدِهِمْ *** وَالْعَدْلُ قَدْ مَاتَ يَأْسًا عِنْدَ رَاعِينَا !
 قَدْ خَابَ آمَانَا فِيمَنْ وَتَقْنَا بِهِمْ *** فَالْيَأْسُ مِمَّنْ رَجَوْنَا ظِلَّ يُقْصِينَا !
 قَلْبُ الْحَوَائِجِ رُضٌّ فِي سِيَاسَتِهِمْ *** قَصْدًا وَقَوْلًا وَفِعْلًا فِي مَأْسِينَا !
 حُكَامُنَا عُمَلَةٌ فِي الزَّيْفِ وَاحِدَةٌ *** تَصْرِيْقَهَا بَيْنَنَا وَالزَّيْفُ يُعْرِينَا !
 لَا خَيْرَ فِينَا وَفِيمَنْ هُوَ حَاكِمُنَا *** كَمَا نَكُونُ يَكُونُ مَنْ يُرَاعِينَا !

الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري